@Tafsircenter

ماراين فان بوتين
Marijn van Putten

# خواص الرسم المشتركة في مخطوطات المصاحف المبكرة برهان على أصل عثماني مكتوب

ترجمة
د/ حسام صبري

www.tafsir.net

مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center For Qur'anic Studies

المعلومات والآراء المقدَّمة هي للكتّاب، ولا تعبّر
بالضرورة عن رأي الموقع أو أسرة مركز تفسير

**نبذة تعريفية بمارين فان بوتين Marijn Van Putten:**

باحث بجامعة ليدن، مختصّ في اللغة العربية، تركّزت اهتماماته في تاريخ المصحف وعلاقته بتطوّر الكتابة العربية.

له عدد من الكتابات في هذا السياق، منها:

Quranic Arabic: From its Hijazi Origins to its Classical Reading Traditions (Studies in Semitic Languages and Linguistics 106), Brill, 2022.

عربية القرآن، من أصولها الحجازية إلى تقاليد القراءة الكلاسيكية.

## مقدمة[1]:

مَثَّلَتْ دراسة تاريخ الْقُرْآن أحد أهمّ الْمَشَاغل على ساحة الدَّرْس الاستشراقي طوال تاريخه، وتنوّعت تلك النّظريات على ساحة هذا الدَّرْس، التي تحاول بناء سردية خاصّة لتاريخ القرآن وتاريخ تدوينه وإرساء نُسخة معتمدة منه، وتختلف هذه النظريات على مدى اعتمادها على المرويّات التقليدية الإسلامية حول تاريخ القرآن، وإن حاول الكثير منها الاستفادة منَ الْمخطوطات القرآنية بصورةٍ كبيرةٍ في بناء تصوّر معقول عن هذا التاريخ.

في هذه الورقة يحاول فان بوتين إجراء دراسة لخواصّ رسم الْمخطوطات القرآنية المبكّرة، بالتحديد على بعض خواصّ الرّسم التي تختلف عن الرّسم الإملائي، ليصل من خلال هذا لكون الْأقرب إلى الْمعقولية هو كون نَسْخِ المصاحف تمّ من خلال أصل مكتوب أقدم، وأنها ليست ناتجة عن خطأ أو هوى، كما أنها ليستْ ناتجة عن إملاء أو شفاهة، مما يعني تأكيد وجود مصحف عثماني مكتوب (ما يسمى بالنَّوْع النصِّي العثماني) كما تقرّر السردية الإسلامية التقليدية.

---

(١) قام بكتابة المقدّمة وكذا التعليقات الواردة في نصّ الترجمة، مسؤولو قسم الترجمات بموقع تفسير، وقد ميّزنا حواشينا عن حواشي المؤلِّف بأن نصصنْا بعدها بـ(قسم الترجمات)، وقد كانت حواشي المؤلِّف في نهاية الدراسة، لكنّنا آثرنا تضمينها داخل الدراسة تيسيرًا على القارئ في متابعة مراد المؤلِّف.

تجتهد هذه الْورقة كذلك في الاستفادة بشكلٍ كبيرٍ من دراسات موسّعة للمخطوطات القرآنية، كتلك التي قام بها فرنسوا ديروش وياسين دتون وبهنام صادقي ومحسن جودارزي وبيرجمان ومايكل كوك، وكذلك بعض الافتراضات النظرية التي بَلْوَرَها نيكولاي سيناي وغيره حول تاريخ تدوين النصّ.

وما يهمنا في هذه الورقة هو ما تثيره من معطيات حول مخطوطات المصاحف، وما تؤكِّده -من خلال الدرس العلمي لهذه المعطيات- من صحة الرواية الإسلامية حول الجمع العثماني، هذه الرواية التي لطالما لاقتْ تشكيكًا ونقدًا من قِبَل الطرح الاستشراقي.

# الدراسة[١][٢][٣]

## مقدّمة:

على مدار تاريخ الدراسات القرآنية، سادت حالة من الاضطراب العام حيال تاريخ جَمْع القرآن في صورته المعتمدة. ومن منظور الرواية التقليدية فإنّ الْخليفة الثالث عثمان بن عفان هو مَنْ تولّى جَمْع القرآن في مصحف واحد بالرّسم الذي عليه القرآن في وقتنا الحالي. وقد رفض وانسبرو[٤] هذه الرواية

---

(١) أَوَدُّ أن أعبِّر عن بالغ شُكري وامتناني لمهدي شادل، وشون أنتوني، وإلكا ليندستيدت، وفوكيلين كوتسترا، ولامين سواق، وغيلان حازم؛ لما قدموه من تعليقات قيّمة حول نسخة أوّلية من هذا البحث.

(٢) العنوان الأصلي لهذه الدراسة:

"The Grace of God" as evidence for a written Uthmanic archetype: the importance of shared orthographic idiosyncrasies .

نُشِرَتْ في: Bulletin of SOAS, 82, 2 (2019), 271–288.

(٣) قام بترجمة هذه المادة: حسام صبري، مدرّس بكلية اللغات والترجمة- قسم الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية، بجامعة الأزهر، شارك في ترجمة عددٍ من الكتب الدينية، وقام بترجمة عددٍ من البحوث، كما أنّ له العديد من الترجمات المنشورة على بعض المواقع الإلكترونية.

(٤) جون وانسبرو (١٩٢٨م- ٢٠٠٢م): مستشرق أمريكي، يعتبر هو رائد أفكار التوجّه التنقيحي، وتعتبر كتاباته منعطفًا رئيسًا في تاريخ الاستشراق، حيث بدأت في تشكيك جذري في المدونات العربية الإسلامية وفي قُدْرَتها على رسم صورة أمينة لتاريخ الإسلام وتاريخ القرآن، ودعا لاستخدام مصادر بديلة عن المصادر العربية من أجلِ إعادة كتابة تاريخ الإسلام بصورة موثوقة، وأهم كتاباته: (الدراسات القرآنية، مصادر ومناهج التفسير) (١٩٧٧م). (قسم الترجمات).

التقليدية (١٩٧٧) ورأى أنّ جَمْع المصحف لم يتم إلا بعد هذا التاريخ بقَرْنَيْن أو ثلاثة.

وفي ظِلّ اكتشاف الْعَدِيد منَ الْمخطوطات القرآنية المبكِّرة التي تعود لتاريخ يسبق بوضوح ما ذكره وانسبرو، والوقوف على وصف لها اتّضح لدينا ضرورة نَبْذ هذا الموقف بما فيه من مغالاة مفرطة. ومع ذلك فإنّ الْكثير من أسباب التَّشَكُّك حيال تاريخ مبكِّر لجمع القرآن لا تزال قائمة ولا تزال حالة الاضطراب تلوح في أفق الدراسات القرآنية. ويسعى البحثُ الذي بين أيدينا لإثبات أنّ جميع المخطوطات القرآنية المبكّرة تنحدر من أصل واحد مكتوب، ليس هذا فحسب بل إنّ النصّ انتشر عبر النَّسْخ من نموذج أصلي مكتوب لا عبر الإملاء أو النقل الشفهي. وبالنظر إلى التاريخ المبكّر لبعض المخطوطات القرآنية المذكورة هنا (وكثير منها يعود إلى بداية الخلافة الأُموية) من المستبعَد أن يكون النموذج الأصلي المكتوب قد اتّخذ شكله المعتمد في وقت متأخّر جدًّا عن خلافة عثمان؛ لذا تعضد هذه المعطيات الرواية التقليدية الإسلامية بدقّة بالِغة.

## النوع النصّي العثماني:

كان للعمل الرّائد الذي قدّمه صادقي وبيرجمان (٢٠١٠)[١] ثم صادقي وجودارزي (٢٠١٢)[٢] حول طروس صنعاء دورٌ كبيرٌ في فهم التاريخ النصّي للقرآن. وبفضل الإفادة من علم العلاقة بين النصوص وشجرات انتقال النصّ في دراسة النصّ السّفلي لطرس صنعاء برهنوا على أنّ هذا النصّ لا بد أن يكون منبثقًا عن نوع نصّي مختلف عن النوع النصّي العثماني المتعارَف عليه[٣]، بل

(١) هذه المادة تُرجمت للعربية، ترجمة: د/ حسام صبري، بعنوان: «موازنة بين مصحف عثمان وإحدى مخطوطات صنعاء، نظرات حول تاريخ تدوين القرآن»، وهي قيد النشر ضمن ترجمات هذا الملف (مخطوطات القرآن في الدراسات الغربية المعاصرة)، على قسم الترجمات بموقع تفسير.

(٢) هذه الدراسة مترجمة للعربية، ترجمة: د/ حسام صبري، بعنوان: «طرس صنعاء (١) وأصول القرآن»، يمكن مطالعتها ضمن ترجمات هذا الملف (مخطوطات القرآن في الدراسات الغربية المعاصرة)، على قسم الترجمات بموقع تفسير.

(٣) ردّت أسماء هلالي هذا القول (٢٠١٧) وذهبت إلى أنّ الاختلافات التي ينسبها صادقي وجودارزي (٢٠١٢) إلى القراءات التي قرأ بها صحابة النبيّ لا وجود لها في النصّ السّفلي. ونظرًا لأن كتاب الهلالي عن طروس صنعاء لم يشتمل للأسف على الصور التي حصلت عليها، فليس لدينا سوى رأيها في مقابل ما قاله صادقي وجودارزي حين تزعم أنها لم تقف على الاختلافات التي ذكراها. ومع ذلك، توجد بالنصّ قراءة على الأقل من القراءات المنسوبة إلى ابن محيصن وفقًا لهلالي، فقد قرأ: (مكيل) في الآية الثامنة والتسعين من سورة البقرة بدلًا من: (ميكيل) التي ترِد في الطبعة القاهرية. ويرى صادقي وجودارزي (٢٠١٢، ص١١٦) وجود لام متطرّفة غير ظاهرة في الطّرس، في حين تتبنّى هلالي (٢٠١٧، ص١٤٤ وما بعدها) رأيًا أكثر تشدّدًا فتقرؤها: «مكيـ» بدون اللام. ومع ذلك، فإنّ التذرّع بهذا =

وشدّدوا على أنّ بعض ما يُنسب لمصاحف الصحابة[1] يمكنه أن يشكّل نوعًا نصيًّا بديلًا. كذلك ينبغي النظر إلى طرس صنعاء بما اشتمل عليه من اختلافات مُثِيرة (تتفق غالبًا مع مصاحف الصحابة الأخرى) على أنه نوع نصِّي منفصل.

والنوع النصِّي العثماني عند صادقي متوافق مع طبعة المصحف الصادرة سنة ١٩٢٤ في القاهرة، وهو التقليد الذي بدأ منذ أن وزّع عثمان المصحف الإمام على الأمصار ليكون المصدر الذي انبثقت منه جميع المخطوطات في التقليد النصِّي. وتتفق جميع هذه المصاحف في أمور عدّة؛ أوّلها: ترتيب السور. وثانيها: ترتيب الآيات داخل السور. وثالثها: محتوى هذه الآيات على مستوى الكلمات الفردية (صادقي وبيرجمان، ٢٠١٠، ص٣٤٧). وتنتمي الغالبية العظمى من المخطوطات القرآنية المعروفة (عدا طرس صنعاء في الواقع) إلى النوع النصِّي العثماني، مع اختلافات بسيطة في هذا النوع النصِّي. وقد ظهرت اختلافات كبيرة حول سُبُل قراءة الرّسم القرآني في مجال القراءات، لكن لم يكن لها عواقب كبيرة على الوحدة العامة الجَلِيّة في النوع النصّي العثماني. ومع ذلك

=

لنفي وجود هذه القراءة (لأنّ هلالي تسلّم بسقوط الياء الأولى) يُعَدّ مستوى غير مبرّر من الإفراط في الشّك. فكما يقول صادقي وجودارزي فإن قراءة ابن محيصن هي الوحيدة المتوافقة مع الرّسم.

(١) مثل مصحف ابن مسعود الذي يُقال أنّه بقي متداولًا في الكوفة يتلوه الناس حتى بعد أن أصبح مصحف عثمان هو النصّ الرسمي في بقية أمصار العالم الإسلامي (ناصر ٢٠١٣، ص٥٥ وما بعدها).

فإنّ التساؤل حول مدى قِدَم هذا النوع النصِّي الموحّد أثار العديد من النقاشات بين الأكاديميين في العقود الأخيرة، وسادت حالة من الاضطراب والخلاف بوجه عامّ في الكتابات التي تناولتْ مسألة تحديد تاريخ معيّن لاكتمال هذا النصّ.

ويرى دونر[1] (٢٠٠٨، ص٣١) أنّ قضية وجود نموذج أصلي مبكِّر انبثق منه القرآن الحالي تُعَدّ واحدة من الأسئلة الخمسة المهمّة التي تشغل بال الباحثين في علوم القرآن. واشتهر قول وانسبرو بأنّ القرآن لم يُجمع إلا بعد

(١) فرد دونر (١٩٤٥-...): مستشرق أمريكي، وُلِدَ في واشنطن، حصل دونر على الدكتوراه من جامعة برنستون في دراسات الشرق الأدنى في سنة ١٩٧٥، ثم أصبح رئيس المعهد الشرقي وقسم لغات وحضارات الشرق الأدنى بجامعة شيكاغو، تتركّز دراساته في الإسلام المبكِّر، وهو أحد معارضي الاتجاه التنقيحي، وله أطروحة في كتاب: Muhammad and the Believers: At the Origins of Islam, Harvard University Press, 2010، (محمد والمؤمنون: في أصول الإسلام)، حيث يرى أنّ ثمّة جماعة من المؤمنين تحلّقت حول النبي محمد، وكان في هذه المجموعة مسيحيون ويهود، كما يرفض آراء وانسبرو عن تأخّر تدوين القرآن وإعلان سلطته، له عدد من الكتب، منها:

-The Early Islamic Conquests, ACLS Humanities E-Book, 1981

(الفتوحات الإسلامية المبكرة).

-Narratives of Islamic Origins: The Beginnings of Islamic Historical Writing (Studies in Late Antiquity and Early Islam, No. 14), Darwin Press, Incorporated; Third Printing edition, 1998.

«سرديات أو روايات نشأة الإسلام». (قسم الترجمات).

مائتين أو ثلاثمائة سنة من وفاة النبي، في حين أن بورتون (١٩٧٧)[١] يرى أنه جُمِع على يَدِ النّبِي محمد نفسه وليس في زمن عثمان. ومنذ ذلك الوقت أَدْلَى العديد من المؤلِّفين بدَلْوهم في هذه القضايا لكن لم يصلوا إلى إجماع واضح في هذا الصدد. ويتحدّث نيكولاي سيناي (٢٠١٤ (أ)، ص٢٧٦) عن «نموذج مدوّن ناشئ» يرجّح إغلاق النصّ القرآني قرابة سنة ٧٠٠م مخالفًا بذلك التاريخ المتعارَف عليه الذي يعود لسنة ٦٥٠م[٢]. ويسوق العديد من وجهات النظر المخالفة، لكن في معرض دفاعه عن التاريخ التقليدي المتعارف عليه في الجزء الثاني من بحثه (٢٠١٤ (ب)، خاصة ص٥٢٠ وما بعدها) يقرّ سيناي بأنه من الصعب الجزم بشأن عدم وجود تنقيح أو إضافة حتى سنة ٧٠٠م.

(١) جون جاراد بورتون (١٩٢١– ٢٠٠٥): مستشرق بريطاني، أستاذ الفنّ والهندسة المعمارية بكلية الدراسات الشرقية والأفريقية، وهو مِن محرّري الموسوعة الإسلامية منذ عام ١٩٦٠ وإلى عام ١٩٩٥م. (قسم الترجمات).

(٢) للتوسّع في فكرة سيناي يمكن مطالعة دراسته: (كيف أصبح القرآن نصًّا مغلقًا)، ترجمة: حسام صبري، منشورة ضمن ترجمات ملف (تاريخ القرآن) على قسم الترجمات بموقع تفسير، وسيعاد نشر هذه الدراسة ضمن الملف الحالي (مخطوطات القرآن في الدراسات الغربية المعاصرة). (قسم الترجمات).

وتعبّر أنجيليكا نويفرت[١] عن موقف مشابه يُقِرّ بصعوبة تبنّي قول قاطع في هذا الصَّدَد، وترى أن السيناريو التقليدي عن الْجَمْع العثماني منطقي وإن كان من المتعذّر إثبات صحّته (نويفرت، ٢٠٠٣، ص١١). أمّا موتسكي[٢] (٢٠٠١)

---

(١) أنجيليكا نويفرت Angelika Neuwirth (١٩٤٣-...): من أشهر الباحثين الألمان والأوروبيين المعاصرين في الدراسات القرآنية والإسلامية.

أستاذ الدراسات السامية والعربية في جامعة برلين الحُرّة، درست الدراسات الساميّة والعربية والفيلولوجي في جامعات برلين وميونيخ وطهران، عملتْ كأستاذ ومحاضر في عدد من الجامعات؛ مثل برلين وميونيخ وبامبرغ، كما عملتْ كأستاذة زائرة في بعض الجامعات؛ مثل جامعة عمّان بالأردن وجامعة عين شمس بالقاهرة.

ترأّستْ مشروع «كوربس كورانيكوم» منذ ٢٠٠٧ إلى ٢٠١٠م.

ولها عدد من الكتابات والدراسات المهمّة في مجال القرآن ودراساته. من أهمها:

Der Koran als Text der Spätantike: Ein europäischer Zugang, 2010.

القرآن كنصّ من العصور القديمة المتأخرة، مقاربة أوروبية.

وقد تُرْجِم للإنجليزية هذا العام فصدر بعنوان:

The Qur'an and Late Antiquity: A Shared Heritage, 2019

Studien zur Komposition der mekkanischen Suren, 1981

دراسات حول تركيب السور المكية. (قسم الترجمات).

(٢) هارالد موتسكي Harald Motzki: مستشرق ألماني، وُلِد عام ١٩٤٨، حصل على الدكتوراه من جامعة بون الألمانية عام ١٩٧٨م، واهتمامه الأساس هو نقل الحديث في التراث الإسلامي، له عدد من الكتب، منها:

-The origins of Islamic jurisprudence, BRILL, 2002

(أصول الفقه الإسلامي).

- Reconstruction of a Source of Ibn Isḥāq's Life of the Prophet and Early Qur'ān Exegesis: A Study of Early Ibn 'Abbās Traditions, Gorgias Press, 2017.

=

فقد سعى لإثبات صحة الرواية التقليدية عبر تتبّع ما ورد من أخبار متنًا وسندًا، بيدَ أنه غير متفائل حيال إمكانية الإفادة من المخطوطات في تحديد تاريخ تدوين القرآن، مؤكِّدًا على أنّ الطبيعة التجزيئية لغالبية الْمَخْطُوطات القرآنية القديمة لا تسمح لنا بقولٍ فصلٍ في أنّ المصاحف المبكّرة لها نفس الشَّكْل والْحَجْم والْمحتوى الذي نراه في الْمَصَاحف المتأخِّرة. ولذا، فإنّ المخطوطات القرآنية لا تبدو مفيدة (حتى الآن) في هذا الشأن (موتسكي، ٢٠٠١، ص٢).

وقد شهدت السنوات الأخيرة ظهور العديد من البراهين القويّة التي تؤيّد وجود جَمْعٍ مبكِّر للنوع النصِّي العثماني. وتبيّن أن كتب التراث التي تناولتْ رسم الْمُصْحف الْعثماني محقّة فيما أوردتْه من تفاصيل دقيقة متعدّدة. ويبيّن صادقي أنه من المستبعَد جدًّا أن تكون مخطئة في الفرضية الأساسية حول جمع الْقرآن في عهد عثمان (صادقي وبيرجمان، ٢٠٢٠، ص٣٦٦ وما بعدها). ويعتمد في هذا القول بشكلٍ كبيرٍ على بحث رائد لمايكل كوك[(١)][(٢١)] (٢٠٠٤)

=

(إعادة بناء سيرة النبي لابن إسحاق، وتفسير القرآن المبكّر: دراسة للتقاليد المبكّرة لابن عباس). (قسم الترجمات).

(١) مايكل كوك Michael Cook، (١٩٤٠م-...): مؤرّخ أمريكي، بالأساس درس التاريخ والدراسات الشرقية في كينجز كوليدج، كامبريدج، ثم في كلية الدراسات الشرقية والأفريقية (SOAS) بجامعة لندن، وهو أستاذ قسم دراسات الشرق الأدنى في جامعة برنستون منذ ٢٠٠٧م، من أهم كتبه بالإضافة لكتابه الشهير مع باتريشيا كرون (الهاجريون): كتاب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر

=

يثبت فيه أنّ اختلافات الرَّسْم التي أوردها الدَّاني في كتابه (الْمُقنع في رسم مصاحف الأمصار) في حديثه عن مصاحف الكوفة والبصرة ودمشق والمدينة تشكّل شجرة من شجرات انتقال النصّ. ويبيّن كوك على سبيل المثال أن مصحف أهل دمشق مشتمل على العديد من القراءات الخاصّة التي انفرد بها، وأخرى يشترك فيها مع مصحف المدينة، لكنه لا يشتمل على قراءات تتفق مع مصحف الكوفة أو البصرة. وتوضّح هذه الأنماط أن نقل هذه الاختلافات يشير إلى سبع شجرات محتملة لانتقال النصّ، وأنها تتفق مع الأخبار التي وردت في نقل النصّ. وإذا وضعنا في الاعتبار أنّ علماء المسلمين في العصور الوسطى لم يكونوا على دراية بعلم العلاقة بين النصوص وشجرات انتقال النصّ، فإن وجود هذا النمط جعل كوك يقرّ صراحة بضرورة التسليم بعملية نقل أصيل من نموذج أوّلي (٢٠٠٤، ص١٤).

---

=

الإسلامي)، وهو مترجم للعربية، حيث ترجمةُ: رضوان السيد وخالد السالمي وعمار الجلاصي، وصدر عن الشبكة العربية للأبحاث والنشر، في طبعة أُولى عام ٢٠٠٩م، وفي طبعة ثانية عام ٢٠١٣م، كما تُرجم مؤخّرًا كتابه: (أديان قديمة وسياسة حديثة، الخلافة الإسلامية من منظور مقارن)، ترجمةُ: محمد مراس المرزوقي، وصدر عن الشبكة العربية للأبحاث والنشر، عام ٢٠١٧م. (قسم الترجمات).

(٢) هذه المقالة تُرجمت للعربية، ترجمة: مصطفى الفقي، بعنوان: (مصاحف الأمصار)، وهي قيد النشر ضمن ترجمات هذا الملف (مخطوطات القرآن في الدراسات الغربية المعاصرة)، على قسم الترجمات بموقع تفسير. (قسم الترجمات).

ونظرًا لأنّ الأخبار التي ساقها الداني لا تعتمد على مخطوطات فعلية وأن كوك لا يعقد مقارنة بينها وبين المخطوطات، فإنّ هذه الأخبار يمكن أن تنطبق على أيّ مجموعة من المخطوطات المرتبطة التي نُسِخَتْ من بعضها بعضًا، ولا يلزم بالضرورة أن تتعلّق بمصاحف الأمصار الفعلية إن كان لها وجود.

ومع ذلك، لا بدّ أن يكون النموذج الأصلي الذي يقترحه مايكل كوك مبكرًا جدًّا، ويتّضح هذا من دراسة ياسين دتون[١] حول مخطوطة باريسينو بيتروبوليتانس وكذلك المخطوطة Or.2165 وتنتميان للمخطوطات القرآنية الحجازية المبكّرة التي تظهر فيها القراءات الخاصّة بمصاحف الشام، لكن لا يُنسب أيّ من هذه القراءات إلى المصاحف الأخرى وفق ما نقله الداني (دتون، ٢٠٠١، ٢٠٠٤). وبناء على هذا، لا بد أن يكون الخبر الذي أورده الداني مستندًا إلى واقع يمكن التثبّت منه في التراث المخطوط.

---

(١) ياسين دتون: باحث بريطاني، هو أستاذ مشارك بكلية اللغات والآداب بجامعة كيب تاون بلندن- قسم اللغة العربية.

اهتماماته الأساسية تتعلق بالفقه، والشريعة الإسلامية في العصر الحديث، والمخطوطات القرآنية المبكرة.

**له عدد من الكتب المهمّة، منها:**

he Origins of Islamic Law: The Qur'an, the Muwatta' and Madinan Amal (Culture and Civilization in the Middle East), (Routledge, 1999).

أصول الشريعة الإسلامية، موطأ مالك وعمل أهل المدينة (الثقافة والحضارة في الشرق الأوسط).

The Codicology of Islamic Manuscripts : Proceedings of the Second Conference of Al-Furqān Islamic Heritage Foundation, 4–5 December 1993 (2nd ed.) London: Al-Furqān Islamic Heritage Foundation.

علم المخطوطات للمخطوطات الإسلامية. (قسم الترجمات).

وآراء كوك مع شواهدها من أدلّة مخطوطة تؤيّد بقوّة تدوين النّوع النصِّي العثماني في مرحلة مبكّرة جدًّا؛ ولذا تتسق مع الرواية التقليدية حول جمع المصحف وتوزيعه على الأمصار الأربعة. وفي تصوّري أنّ آراء كوك منطقية وحجّته مقنعة، ومع ذلك لم يُلتفت إليها إلى حدٍّ كبيرٍ أَوْ رآها بعضهم غير مقنعة بما يكفي. ولذا أسوق رأيًا آخر يشير إلى وجود أصل مكتوب للنوع النصِّي العثماني ويثبت أنّ هذا النوع النصِّي نُسِخ بشكل متّسِق من نموذج أصلي مكتوب ولم يُنقل عبر الإملاء أو شفاهة كما هو متصوّر.

**خواصّ الرسم:**

مَرّ معنا في المبحث السابق أنّ جميع المخطوطات القرآنية بلا استثناء تنتمي إلى نفس النّوع النَصِّي العثماني من حيث ترتيب السور والآيات بل وعلى مستوى الكلمات. ومع ذلك، ثمة أمرٌ غير واضح يتعلّق بكيفية انتقال هذا النّوع النَصِّي ومتى استقرّ في صورته النهائية. ولا يمكن الوصول إلى قول قاطع في هذا الصّدَد عبر النّظر في التراث الإسلامي، بل يجدر بنا دراسة نصِّ المخطوطات القرآنية المبكّرة. ويتّضح من خلال الدراسة المتأنية لهذه المخطوطات أن الرّسم بجميع خصائصه الإملائية يدلّ على وجود أصلٍ مكتوبٍ نُسخَتْ منه الْمصاحف كتابة عبر نموذج أصلي مكتوب.

إنّ نظرة سريعة على طبعة القاهرة تكشف العديد من الكلمات التي رُسِمَتْ بطريقة لا تتفق مع قواعد الإملاء في اللغة العربية الفصحى. ومن

الْمُمكن أن تكون هذه الكلمات الواردة في الطبعة القاهرية متشبّثة بخصائص إملائية عتيقة كانت متداولة في أساليب الإملاء القديمة. لكن طريقة كتابة بعض هذه الكلمات القديمة لا تتسم بنمط ثابت على ما يبدو. ومن ذلك عبارة: ﴿رحمة الله﴾؛ إذ تُرسم تارة بتاء مفتوحة وتارة أخرى بتاء مربوطة. وكذلك: ﴿نعمة الله﴾، فتُكتب (نعمت، ونعمه). ومن ذلك أيضًا عبارة: ﴿جزاء سيئة﴾ إذ تُرسم (جزوا سييه، جزا سييه). ولفظ ﴿الملأ﴾ تُكتب: (الملوا، الملا). وتتكرّر خواصّ الرسم والإملاء تلك عبر القرآن. وحين نجد هذا الاختلاف في رسم الكلمة، فإنّنا ندرك قطعًا عدم وجود أهمية لغوية خاصّة؛ إِذْ يعبر الرسم عن العبارة نفسها دون تغيير في المعنى. ولا بد أنّ الاختلاف في الرسم عائد على ما يبدو إلى اختيار النّاسخ.

لكن هناك ما هو أكثر من اختيار الناسخ في هذه الخواص الإملائية؛ إِذْ تتيح لنا تتبّع المخطوطات القرآنية وإثبات عودتها إلى أصلٍ واحدٍ مكتوب نُسختْ منه جميعًا. فلوْ أنّ هناك مخطوطتَيْن لا تنبثقان عن نُسَخ مأخوذة من أصل واحد، فلا يُتوقّع أن نجد نفس الرَّسْم في الْموضع نفسه بصورة متكرّرة. ولكن هذا ما وجدناه تحديدًا: كلمات رُسمت بشكلٍ متفرّد تتكرّر مرارًا بالأسلوب نفسه في الموضع ذاته في جميع المخطوطات القرآنية المبكّرة. ولا يمكن أن ينشأ هذا إلا عن نقلٍ كتابي دقيق.

**مثال: نعمة الله:**

لعلّ الأسماء المؤنثة في الألفاظ المركّبة من أبرز النماذج التي تدلّ فيها خواصّ الرسم والإملاء على وجود أصل مكتوب. وعادة ما تُكتب هذه الأسماء في الرّسم القرآني بهاء متطرّفة كما هو الحال في قواعد الإملاء في اللغة العربية الفصحى، إلا أن نسبة كبيرة منها (حوالي ٢٢٪) تُرسم بتاء مفتوحة. وفي بعض العبارات الشائعة تكون النسبة التي يتوزّع بها رسم الكلمة بين هذين الشكْلَيْن متساويًا تقريبًا، في حين تُرْسَم بعض الْمفردات بالتاء المفتوحة دون غيرها. وتُعَدّ الْمُفردات التي تتساوى فيها كتابة هذه الكلمات بإحدى الصورتين =نموذجًا مناسبًا لإبراز الاتساق في خواصّ الرّسم والإملاء. ويقدّم الجدول (١) لمحة عامة عن الأسماء المؤنّثة المركّبة التي تُرسم بالتاء المربوطة أو المفتوحة أو التي لا تُرسم إلا بالمفتوحة فقط.

وسوف أركّز هنا على أكثر هذه المفردات شيوعًا وهي لفظ ﴿نعمة﴾ التي تُرسم بالتاء المفتوحة أو المربوطة بشكلٍ يكاد يكون متساويًا تمامًا. وتأتي هذه الكلمة مركبة مع لفظ ﴿الله﴾ أو ربِّي أو ربّك أو ربّكم. ولا تتوقّف طريقة رسمها على اللفظ الوارد معها، فترد بالرَّسْمَيْن مع أيّ لفظ من هذه الألفاظ في الطبعة القاهرية.

## المخطوطات:

ترِد كلمة: ﴿نعمة﴾ في مركب لفظي في ثلاثة وعشرين موضعًا في القرآن، وقد جرى دراستها في أربع عشرة مخطوطة قرآنية. ونجد في الجدول (١) اختصارات تشير إلى هذه المخطوطات. وتزوّدنا اللمحة العامة الآتية بمعلومات حول هذه المخطوطات، وهي مأخوذة من الموقع الإلكتروني للموسوعة القرآنية (www.corpuscoranicum.de) ما لم يُنَصّ على غير ذلك.

**الجدول (١): الألفاظ المؤنثة المركبة المرسومة بالتاء المفتوحة في القرآن.**

| اللفظ | الرّسم بالتاء المربوطة | الرّسم بالتاء المفتوحة |
|---|---|---|
| نعمه | ١٢ | ١١ |
| رحمه | ٦ | ٧ |
| لعنه | ٥ | ٢ |
| سنه | ٨ | ٥ |
| كلمه | ٨ | ٥ |
| جنه | ٤ | ١ |
| شجره | ٢ | ١ |
| قره | ٢ | ١ |
| امر(ا)ت | ٠ | ٧ |

| | | |
|---|---|---|
| غيبت الجب | ٠ | ٢ |
| معصيت الرسول | ٠ | ٢ |
| بقيت الله | ٠ | ١ |
| فطرت الله | ٠ | ١ |
| ابنت عمرن | ٠ | ١ |

يشير الاختصار SU إلى مخطوطة صنعاء الأولى، النصّ العلوي، وهي موجودة بدار المخطوطات بوسم DAM 01-27.01 + حمدون ٢٠٠٤ + الورقات التي عُرضت في مزاد كريستي سنة ٢٠٠٨؛ بونهامز ٢٠٠٠؛ سوذبي ١٩٩٢، وكذلك سوذبي ١٩٩٣[(١)].

٨٠ ورقة؛ ٥٧٨- ٦٦٩م سيجما ٢ بنسبة (٩٥.٤٪)/ ٦٠٦- ٦٤٩ سيجما ٢ بنسبة احتمال (٩٥.٤٪) (الموسوعة القرآنية)؛ الخطّ الحجازي الأول[(٢)].

---

(١) للاطلاع على معلومات تفصيلية حول ورقات مخطوطة صنعاء التي عُرضت في مزاد كريستي وبونهامز وسوذبي، انظر:

Sadeghi and Bergmann (2010: 354).

(٢) يمكن الاطلاع على تصنيف لأساليب المخطوطات القرآنية المبكرة عند ديروش، انظر:

Déroche (1983;1992).

وقد صنفت هذه المخطوطة ضمن الحجازية (٤) أو الكوفية (ب) في الموسوعة القرآنية. ومع ذلك يبدو تصنيف الحجازي الأوّل هو الأنسب. ومن العوامل الرئيسة التي يستخدمها ديروش في التمييز بين الأساليب المختلفة شكل الهاء. وتمتاز هذه المخطوطة بهاء مكتوبة على شكلِ قلب لا تجده في =

لا بد أنّ النصّ العلوي في طرس صنعاء يعود لتاريخ متأخِّر عن النصّ السفلي لكنه يظلّ من بين المخطوطات القرآنية المبكِّرة التي تعود للقرن الأول أو مطلع القرن الثاني استنادًا إلى قواعد الرسم والإملاء.

يشير الاختصار BL إلى مخطوطة المكتبة البريطانية Or. 2165 + مخطوطة المكتبة الوطنية الفرنسية Arabe 328e + دار الآثار الإسلامية، الكويت LNS 19 CA[ab] 1 (ورقة مزدوجة).

١٢٨ ورقة، النصف الثاني من القرن الأول (ياسين دتون، ٢٠٠٤، ص٦٦)؛ الخط الحجازي الثاني (ديروش، ١٩٨٣، ص٦٢، رقم ٧).

يشير الاختصار A3 إلى مخطوطة Arabe 331 + مخطوطة لايدن Or. 14.545b+ مخطوطة لايدن Or. 14.545c

٥٨ ورقة، القرن الأول، التأريخ بالكربون المُشِعّ[١٤] من سنة ٦٥٢ إلى ٧٦٣، سيجما ٢ (بنسبة ٩٥.٤٪)، الخط الكوفي (B Ia) (ديروش، ١٩٨٣، ص٦٧، رقم ١٤).

---

=

المخطوطات المكتوبة بالخط الحجازي (٤) أو الكوفي (ب). والأسلوب الوحيد الذي يخطر على بالي وترد فيه الهاء بأسلوب مشابه هو الأسلوب الحجازي للناسخ (هـ) في مخطوطة باريسينو بيتروبوليتانس (Déroche 2009: 41, 193 f).

يشير الاختصار CA1 إلى مخطوطة Codex Amrensis 1

٧٥ ورقة، حوالي النصف الأول من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي (سيلارد ٢٠١٧، ص١٥)، الحجازي المتأخّر (سيلارد، ٢٠١٧، ص٧)/ الحجازي الأول (ديروش ١٩٨٣، ص٥٩، رقم ١).

تحقيق سيلارد (٢٠١٧).

يشير الاختصار Q إلى المخطوطة Qāf 47 + المخطوطة Or. Fol. 4313

٣٦ ورقة، القرن الأول، التأريخ بالكربون ١٤ من سنة ٦٠٦ إلى ٦٥٢، سيجما ٢ (٩٥.٤٪)، الحجازي.

يشير الاختصار S إلى مخطوطة مكتبة برلين الحكومية: مصحف سمرقند.

٣٥٣ ورقة يعود تاريخها للفترة من سنة ٧٠٠ إلى ٨٥٠، بالخط الكوفي (D I)[١].

اعتمدت في قراءاتي على صورة طبق الأصل متاحة على الموقع الإلكتروني للموسوعة القرآنية.

(١) الخط الكوفي (C 1) هو الفئة المذكورة في الموسوعة القرآنية، لكن الخط الكوفي (D I) يتطابق بشكلٍ أكبر مع ما نجده على سبيل المثال ظاهرًا في الجيم المقوّسة لا المستقيمة أو الحاء أو الهاء، وكذلك في القاف المتطرّفة التي تكون على شكل حرف U.

يشير الاختصار W إلى المخطوطة الموجودة في مكتبة برلين الحكومية تحت وسم (Ahlwardt 305) Wetzstein II 1913 + مخطوطة المكتبة الوطنية الفرنسية Arabe 6087.

٢١٠ ورقة + ٦ ورقات؛ النصّ الثاني من القرن الأول/ مطلع القرن الثاني، التأريخ بالكربون ١٤: ٦٦٢– ٧٦٥، سيجما ٢ (٩٥.٤٪)؛ الخط الكوفي (B Ia) (ديروش ١٩٨٣، ص٦٧، رقم ١٦٠).

يظهر في النصّ إضافات وتصويبات من جانب عدد من النُّسّاخ اللاحقين لكن ليس من بينها تصويبات في حرف التأنيث الذي تنتهي به الكلمة. أمّا عن الورقات الستّ في مخطوطة Arabe 6087 فقد ذكرت الموسوعة القرآنية أنها جزء من هذه المخطوطة.

يشير الاختصار Zid إلى أرشيف جوتهلف برجستراسر: مكناس: المكتبة الخاص للشريف عبد الرحمن بن زيدان: مخطوطة: kufischer Korankodex ٣٨٠ ورقة، حوالي القرن الثامن/ التاسع، الحجازي (B II)[١].

تالفة ويصعب قراءتها بسبب انخفاض جودة الصّور.

(١) الخط الكوفي 1 C هو المذكور في الموسوعة القرآنية، لكن من الواضح أن المخطوطة تنتمي للمخطوطات الكوفية (B II).

يشير الحرف K إلى مخطوطة القاهرة، المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية باسم: Korankodex Großer.

وتتألف من ١٠٨٧ ورقة، وتعود لفترة متأخّرة عن سنة ٧٠٠، ومكتوبة بالخط الكوفي (B I b) أو (B II).

يشير الاختصار CP إلى مخطوطة باريسينو بيتروبوليتانس.

تتألف من ٩٨ ورقة، ويعود تاريخها للرّبع الثالث تقريبًا من القرن الأول/ السابع (ديروش، ٢٠٠٩، ص١٧٧)؛ وهي مخطوطة قرآنية كبيرة إلى حدّ ما، تولّى فرانسوا ديروش تحقيقها ونشرها، وهي مكتوبة بالخطّ الحجازي الأول (ديروش، ١٩٨٣، ص٥٩ وما بعدها، رقم٢/ ٣).

يشير الحرف B إلى مخطوطة ألفونس منغنا الإسلامية الموسومة Arabic 1572b.

٧ ورقات، قبل سنة ٧٥٠، مكتوبة بالخط الكوفي (B Ia).

ورقات مجموعة سانت بطرسبرغ مارسيل ١٧ تنتمي إلى هذه المخطوطة كذلك. ولم أتمكّن من الرجوع إليها.

يشير الاختصار SM إلى مخطوطة إسطنبول Saray Medina 1a.

تتألّف من ٣٠٨ ورقة، وتعود لأواخر القرن الأول/ مطلع القرن الثاني، وهي مكتوبة بخطوط مختلطة.

يشير الحرف T إلى مخطوطة توبنغن Ma VI 165.

٧٧ ورقة، التأريخ بالكربون ١٤: ٦٤٩- ٦٧٥، سيجما ٢ (نسبة احتمال ٩٥.٤٪) بالخط الكوفي (B Ia).

يشير الحرف M إلى طرس مكتبة جامعة كمبردج، منغنا - لويس (ورقات قرآنية صغيرة).

٣٢ ورقة يعود تاريخها لأواخر القرن السابع/ مطلع القرن الثامن، بالخط الحجازي.

طرس أُعيدت الكتابة عليه؛ حيث كُتِب عليه أحد النصوص المسيحية باللغة العربية ونشره ألفونس منجانا وأغنيس سميث لويس في مطلع القرن السابق (١٩١٤) وتم رفعها على المستودع الرقمي لمكتبة جامعة كمبردج، وتولّت ألبا فيديلي معالجتها رقميًّا[1].

(1) https://cudl.lib.cam.ac.uk/view/MS-OR-01287-SMALL/1

## النتائج:

يوضح الجدول (٢) طرق كتابة كلمة ﴿نعمة﴾ كما تَرِد في المخطوطات التي جرى دراستها. ويرد في المحور الأفقي رمز المخطوطة، في حين يشير الحرف C إلى الطبعة القاهرية، أمّا في المحور العمودي فترِد المواضع الخمسة عشر لكلمة (نعمت ونعمة) بالتاء المفتوحة والمربوطة.

**الجدول (٢) يبين مواضع ورود لفظ ﴿نعمة الله﴾ بالتاء المربوطة والمفتوحة**

| | C | Q | BL | CP | A3 | CA1 | M | T | SU | SM | S | W | K | B | Zid |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| Q 2:211 | ه | | | | ه | | | | | | | ه | ه | | ه |
| Q 2:231 | ت | | | | ت | | | | | | ت | ت | [ه] | | ت |
| Q 3:103 | ت | ت | | ت | | | | | ت | | | ت | ت | | ت |
| Q 5:7 | ه | ه | | ه | | | | | ه | | | ه | ه | ه | ه |
| Q 5:11 | ت | ت | ت | ت | | | | | | | | ت | ت | ت | ت |
| Q 5:20 | ه | ه | ه | ه | | | | | | | | ه | ه | ه | ه |
| Q 14:6 | ه | | ه | ه | | | | | | ه | | ه | ه | | ه |
| Q 14:28 | ت | | ت | ت | ت | ت | | | | ت | | ت | ت | | ت |
| Q 14:34 | ت | | ت | ت | ت | ت | | | ت | ت | | ت | ت | | ت |
| Q 16:18 | ه | | ه | | ه | | ه | | | ه | ه | ه | ه | | ه |
| Q 16:71 | ه | | ه | | | | | | | ه | ه | ه | ه | | ه |
| Q 16:72 | ت | | ت | | | | | | | ت | ت | ت | ت | | ت |
| Q 16:83 | ت | | ت | | | | ت | | ت | ت | ت | ت | ت | | ت |
| Q 16:114 | ت | | ت | | ت | | ت | | ت | ه | ت | ت | ت | | ت |
| Q 29:67 | ه | | ه | | | | | ه | | ه | | | ه | | ه |
| Q 31:31 | ت | | ت | | | | | ت | ت | ت | | ت | | | ت |
| Q 33:9 | ه | | ه | | | | | ه | ه | ه | | ه | ه | | ه |
| Q 35:3 | ت | | ت | | | | | ت | ت | ت | | ت | ت | | [ت] |
| Q 37:57 | ه | | ت | | | | | | | ت | ت | ه | ت | | ه |
| Q 43:13 | ه | | ه | ه | | | | | | ه | | ه | ه | | ه |
| Q 52:29 | ت | | | | ت | ت | | | | | | ت | ت | | ت |
| Q 68:2 | ه | | | | | | | | | ه | | ه | ه | | ه |
| Q 93:11 | ه | | | | | | | | | ه | | | ه | | |

يتّضح من الجدول (٢) وجود ارتباط قويّ بين موضع الرّسم الخاصّ في الطبعة القاهرية والمخطوطات القرآنية المبكّرة. ونجد الاختلاف في موضعَيْن فقط هما سورة النحل، الآية ١١٤، وسورة الصافات، الآية ٥٧. ولا يمكن أن يكون هذا الاتفاق الهائل من قبيل الصّدفة. أمّا الآية ١١٤ من سورة النحل فنجد مخطوطةً واحدة تشذّ عن النّمط العام، في حين تتفق المخطوطات السبع

الأخرى التي تمّت دراستها مع رسم الكلمة الوارد في الطبعة القاهرية. وكذلك في حالة الآية ٥٧ من سورة الصافات، فنجد مخطوطتَيْن تتفقان مع رسم الطبعة القاهرية في حين تتفق المخطوطات الأربع الأخرى في رسم الكلمة بالتاء المفتوحة. وهنا تبدو الطبعة القاهرية متفرّدة هي والمخطوطة (W) والمخطوطة (Zid)[١].

وهناك مشكلة أخرى: فإنّ المخطوطة (K) اشتملت على رسم للكلمة في الآية ٢٣١ من سورة البقرة يختلف عن الرّسْم في باقي المخطوطات. لكن من الواضح أنّ هذه الصفحة قد كُتبت على يَدِ ناسخ آخر متأخِّر بخلاف باقي صفحات المصحف؛ ولذا لا تعنينا هنا. كذلك الحال في المخطوطة Zid حيث نجد الآية الثالثة من سورة فاطر كُتبت على يد ناسِخ آخر متأخّر، لكن في هذه الحالة يتّفق الرّسم مع سائر المخطوطات الأخرى.

(١) تشتمل الموسوعة القرآنية على مخطوطتين إضافيتين تَرِد فيهما الكلمة بالهاء المربوطة، وهي مخطوطة مكتبة رامبور رضا، رقم ١، وبيترمان I 38. وكلتا المخطوطتين متأخّرتان بشكلٍ كبيرٍ عن المخطوطات المدروسة هنا؛ ولذا فإن رسم الكلمة بالتاء المربوطة في الآية السابعة والخمسين من سورة الصافات هو رسم فريد شاع في المخطوطات المتأخّرة (ولذا ورد كذلك في الطبعة القاهرية). وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا الرسم ليس خاصًّا بمصرٍ من الأمصار. والمخطوطة (W) تمثّل مصحفًا من مصاحف أهل الشام في حين أن المخطوطة Zid هي مصحف كوفي بناء على الاختلافات التي أوردها مايكل كوك (٢٠٠٤).

## مقتضيات النتائج:

هناك تفسير واحد محتمل لهذا الاتفاق الكبير بين هذا العدد من الْمخطوطات في رسم كلمة (نعمة) بالتاء المربوطة تارة والمفتوحة تارة أخرى، ألا وهو وجود أصل مكتوب واحد تنبثق منه جميع المخطوطات القرآنية للنوع النصِّي العثماني. وفي ظلّ التاريخ المبكّر المحتمل للكثير من هذه المخطوطات (النصف الثاني من القرن السابع) فمن المستبعَد أن يكون هذا الأصل الخاصّ بالنّوع النصِّي الْعثماني متقدّم على تاريخ الْجمع المعتمد في التراث الإسلامي إبّان خلافة عثمان (في الفترة من سنة ٢٤ إلى ٣٤ هجرية). ومن الصعب القبول بالرأي الذي ينسب النَّوْع النصّي العثماني إلى ما سُمي «بمشروع المصاحف الثاني»[(١)] في ولاية الحَجّاج بن يوسف (٧٥- ٩٥هـ). فلا تشير أيّ من هذه الأخبار إلى وقوع تغيير جذري كهذا أثناء المشروع، كما أنّ العديد من المخطوطات المدروسة هنا تشتمل على نطاق زمني تُوُصِّل إليه عبر التأريخ بالكربون المُشِعّ يسبق زمن الحَجّاج بعقود كثيرة[(٢)]. وبالطبع يستحيل أن نثبت بالاعتماد على هذه المعطيات أن توحيد المصاحف لم يحدث قبل عثمان، إلا إنها تتسق قطعًا مع الرواية التقليدية.

---

(١) حمدان، ٢٠١٠.

(٢) وتحديدًا المخطوطة Ma VI 165 (سنة ٥٣هـ) والمخطوطة قاف ٤٧ (سنة ٣٠هـ).

كذلك من مقتضيات هذه النتائج القول بأنه بداية من توحيد النصّ القرآني فكلّ مخطوطة تنتمي إلى النّوع النصِّي العثماني لا بد أنها نُسِخَتْ من نموذج أصلي مكتوب. وهذه الأنواع من خواصّ الرسم تحديدًا هي التي يستحيل تكرارها عبر عملية تدوين بالإملاء. ولا بد أنّ هذا النمط العام في النّسخ اعتمادًا على نماذج أصلية مكتوبة من مخطوطة لأخرى قد استمرّ لقرون. ورغم أني ركّزت في هذا البحث على المخطوطات القرآنية المبكّرة قدر الإمكان، فمن الجلي أنّ هذه الأنماط استمرّت على مدار فترات زمنية متأخِّرة، ولم تشذّ عنها لتتبّع أسلوب إملاء كلاسيكي إلا في الحقبة العثمانية. وتمثّل الطبعة القاهرية عودة متعمّدة إلى الرسم الأصلي.

## صور أخرى من خواص الرسم:

استعرضنا طرق كتابة لفظ (نعمة) بالتاء المربوطة أو المفتوحة، وأثبتنا وجود ارتباط قويّ في طريقة رسم هذه الكلمة في المخطوطات القرآنية المختلفة. وفي هذا دليل قاطع على وجود نُسخة أصلية مكتوبة انبثقت منها سائر المخطوطات القرآنية، وأنّ جميع المخطوطات القرآنية التي تنتمي للنوع النصِّي العثماني قد نُسخت بطريق الكتابة وليس اعتمادًا على الذاكرة أو الإملاء، وإنما من نسخة أخرى سابقة.

ولا يقتصر ذلك على لفظ (نعمة/ نعمت)، بل ينطبق على جميع الألفاظ المؤنثة المركبة مثل (رحمة/ رحمت، ولعنة/ لعنت)، ونحو ذلك. وهناك أنواع أخرى من خواص الرسم المميزة مثل طريقة كتابة كلمة (جزاء) في حال الإضافة إلى لفظ آخر، وعادةً ما تُرسم (جزا)، لكن ترِد في بعض الأحيان (جزاو)؛ وذلك في خمسة مواضع محدّدة: في الآيتين التاسعة والعشرين والثالثة والثلاثين من سورة المائدة، وفي الآية الأربعين من سورة الشورى، وفي الآية السادسة والسبعين من سورة طه، وفي الآية الرابعة والثلاثين من سورة الزمر[(١)][(٢)]. وهذا

(١) في هذه المواضع الثلاثة الأولى، تُرسم الكلمة (جزوا) في الطبعة القاهرية، ورغم أنه رسم قريب بلا شك إلا أني لم أجد دليلًا عليه في المخطوطات القرآنية المبكّرة. وكذلك الحال في الآية السابعة عشرة من سورة الحشر، نجد الكلمة رُسمت بنفس الطريقة إلا أني لم أجد له دليلًا أيضًا في المخطوطات المبكّرة ولهذا يبدو أنها طريقة متأخّرة في الرسم.

=

(٢) كتابة هذه المواضع بالواو مما نَصّ عليه علماء الرسم المتقدِّمون، ومنهم الداني وأبو داود ممّن كان اعتماد الطبعة القاهرية عليه، كما ذكر بعض الباحثين أن كتابتها بالواو مثبَت في بعض المصاحف القديمة.

ففي كتابتها بالواو في هذه المواطن وذِكر الخلاف في مواطن أخرى نقل د. بشير الحميري في (معجم الرسم العثماني) عن طائفة من علماء الرسم كتابتها بالواو، مما يدلّ على أنها كانت تكتب هكذا في أزمنة متقدّمة، وممن نَقل عنهم ذلك: ابن الأنباري في (مرسوم الخط)، والمهدوي في (هجاء مصاحف الأمصار)، والجهني في (البديع)، والداني في (المقنع)، والأندرابي في (الإيضاح في القراءات)، وأبو داود في (مختصر التبيين).

وقد ذكر أيضًا ما وقف عليه في المصاحف القديمة في كتابتها بالواو، وخلاصة ما ذكره في المواضع المذكورة هنا:

- موضع المائدة (٢٩): نقل فيه اتفاق علماء الرسم على زيادة الواو، وأنها مكتوبة بالواو في المصحف الحسيني، ومصحف طوب قابي، ومصحف مكتبة باريس (٥١٢٢).

- موضع المائدة (٣٣): نقل فيه اتفاق علماء الرسم على زيادة الواو، وأنها مكتوبة بالواو في المصحف الحسيني، ومصحف طوب قابي.

- موضع طه (٧٦): نقل فيه خلاف علماء الرسم في كتابتها في المصاحف، وذكر أنها مكتوبة بالواو في المصحف الحسيني ومصحف الرياض ومصحف طوب قابي.

- موضع الشورى (٤٠): نقل فيه اتفاق علماء الرسم على زيادة الواو، وأنها مكتوبة بالواو في المصحف الحسيني، ومصحف الرياض، ومصحف طوب قابي، ومصحف مكتبة باريس (٥١٢٢).

- موضع الزمر (٣٤): نقل فيه خلاف علماء الرسم في كتابتها في المصاحف، وذكر أنها مكتوبة بالواو في المصحف الحسيني ومصحف الرياض ومصحف مكتبة باريس (٥١٢٢)، وبغير واو في مصحف طوب قابي.

=

التوزيع في رسم الكلمة يستحيل تصوّره إلا إذا افترضنا النَّسْخ من أصول مكتوبة.

كذلك من نماذج الاختلاف في الرّسم كلمة (الملأ)، وتُرسم (الملا) في اثني عشر موضعًا، كما تُرسم (الملوا) في أربعة مواضع في طبعة القاهرة (وذلك في الآية الرابعة والعشرين من سورة المؤمنون، والتاسعة والعشرين والثانية والثلاثين والثامنة والثلاثين من سورة النمل). وتتفق المخطوطات القرآنية المبكّرة التي درستُها في رسم هذه الكلمة بهذا الشكل في هذه المواضع، أمّا في المواضع الأخرى فتُرسم بالشّكل المعتاد (الملا). ومع ذلك تجدر الإشارة إلى أنه لا يلزم بالضرورة أن تكون جميع الألفاظ ذات الرّسم الخاصّ التي وجدناها

=

– موضع الحشر (١٧) –الذي أشار إليه في الحاشية–: ذكر أن الداني والجحدري لم يدخلاه في المتفق عليه، وأنه مكتوب بالواو في مصحف طوب قابي ومصحف مكتبة باريس (٥١٢٢)، وبغير واو في المصحف الحسيني ومصحف الرياض.

وهناك مواضع أخرى وقع فيها الخلاف وذكر ما وقف عليه بشأنها في المصاحف.

يُراجع: كلمة (جزاء) في (معجم الرسم العثماني)، د. بشير الحميري (٣/ ١١٦٦-١١٧١)، ويُراجع التعريف بالمصاحف المذكورة (١/ ١٤٣ وما بعدها).

ويظهر بذلك أنّ كتابة هذه المواطن بالواو مما نصّ عليه المتقدِّمون مما يدلّ على أن كتابتها بالواو كانت معروفة لديهم، وأنّ من المصاحف القديمة ما ثبتت فيه الكتابة بالواو، وأنّ بعض هذه المواطن قد وقع فيها الاختلاف الذي كان له أثره في اختلاف كتابتها في بعض المصاحف. وسيأتي معنا مزيد حديث عن ذلك. (قسم الترجمات).

في طبعة القاهرة عائدة إلى هذه المخطوطات المبكّرة، فمثلًا عبارة: (دعوا الكفرين) الواردة في الآية الخمسين من سورة غافر تُرسم بطريقة مطابقة لكلمة (دعا) في الآية الرابعة عشرة من سورة الرعد في جميع المخطوطات القرآنية المبكّرة التي درستها. ولذا فإن رسم الكلمة بالواو والألف على ما يبدو طريقة مبتكرة متأخّرة. وعلاوة على ما سبق، فلا يلزم بالضرورة أن تكون جميع الألفاظ ذات الرسم الخاص في النوع النصّي العثماني قد جرى تناقلها بدقة حتى زمن الطبعة القاهرية[(١)]. على سبيل المثال فإن رسم كلمة (ابرهيم/ ابرهم)

(١) من المشكِل منهجيًّا التعامل مع الطبعة القاهرية وكأنها منقطعة الجذور وغير معتمدة على ما كُتب في أزمنة متقدّمة حول هذه الظواهر، فضلًا عن عدم التسليم بعدم وقوف بعضهم على ما كُتب فيه بالألف. ففي كتابة كلمة (دعوا) بالواو في سورة غافر ذكر عددٌ ممّن كتب في الرسم كتابتها بالواو، مما يدلّ على حضور ذلك في أزمنة متقدّمة، وقد نقل د. بشير الحميري في (معجم الرسم العثماني) عن طائفة ذكروا كتاباتها بالواو، منهم: ابن الأنباري في (مرسوم الخط)، والمهدوي في (هجاء مصاحف الأمصار)، والجهني في (البديع)، وما ذكره الداني بسنده عن أبي جعفر الخزاز أنهم كتبوه بالواو والألف حرف ليس غيره (دعوا) في غافر في (المقنع)، والأندرابي في (الإيضاح في القراءات)، وأبو داود في (مختصر التبيين). وقد ذكر د. بشير الحميري ما وقف عليه في المصاحف القديمة من كتابة موضع غافر بالواو، فذكره في مصحف صنعاء، والمصحف الحسيني، ومصحف الرياض، وذكر ما وقف عليه بإثباتها بالألف -كما يذكر الكاتب- فذكره في مصحف طوب قابي، وباريس (٥١٢٢). (يُراجع التعريف بهذه المصاحف في: معجم الرسم العثماني (١/ ١٤٣ وما بعدها).

وقد نقل عن السخاوي قوله في (الوسيلة): (ورأيته أنا في المصحف الشامي (دعا الكافرين) بغير واو)، وقال: (وما ذكره السخاوي دليل على عدم اتفاق المصاحف على رسم موضع غافر؛ لأنه يحكي عن =

يقتصر في سورة البقرة في الطبعة القاهرية على (ابراهم)، لكن يَرِد هذا الرسم بصورة عشوائية أكبر إلا أنها مرتبطة داخليًّا في جميع المخطوطات القرآنية المبكّرة[1].

ولا شَكّ أنّ تحديد خواص الرّسم المشتركة في هذه المخطوطات القرآنية المبكّرة خطوة لا غنى عنها في دراسة النصّ القرآني، وهي لازمة لإعداد نسخة نقدية من الرّسم القرآني وإعادة بناء النموذج الأصلي العثماني. وتحديد هذه الخواص والمواضع التي خالفتْ فيها المخطوطات المتأخّرة ما استقر من القواعد يتيح لنا إعادة بناء الاتجاهات والمسارات التي سلكها النُّسّاخ في رسم المخطوطات القرآنية المتأخِّرة، وربما يتيح لنا تحديد شجرة انتقال النصّ

=

مصحف الشام أو عن مصحف منتسخ منه، ويؤيّده فيما اطلعت عليه من رؤية بعض المصاحف القديمة). معجم الرسم العثماني، د. بشير الحميري (٣/ ١٥٢٣-١٥٢٥).

ويظهر بذلك أنّ كتابة هذا الموضع بالواو معروف ومذكور لدى علماء الرسم قديمًا وهو ما اعتمدت عليه الطبعة القاهرية، كما أنه ثابت في عدد من المصاحف القديمة، ثم إن إثباته بالألف في بعض المصاحف مما ذكره علماء الرسم أيضًا.

وكان ينبغي أن يكون ما وقف عليه فان بوتن سابقًا دافعًا له منهجيًّا لمزيد قبول لما ورد في كتب الرسم وإن لم يقف على مثل هذا التفصيل الوارد عنهم. (قسم الترجمات).

(١) يرتبط هذا الرسم أيضًا بصورة قوية بقراءة هشام عن ابن عامر الذي يقرؤها (إبراهام) في أيّ موضع رُسمت فيه (ابرهم) في المخطوطات المبكّرة. ويناقش فان بوتين في بحث قادم هذه المسألة باستفاضة ويثبت أن قراءة هشام معتمدة على الرّسم، لا أن الرسم قد جرى تعديله ليناسب قراءته.

للمخطوطات القرآنية المبكّرة التي تكلّم عنها مايكل كوك (٢٠٠٤) للوصول إلى فهمٍ أفضل لانتشار النصّ القرآني وتطوّره.

## رسم الألف المتوسطة بطريقة الإملاء الكامل:

ثمة مسألة أخيرة لا بد من تسليط الضوء عليها في ظلّ التكرار الدّقيق لخواص رسم بعينها في الْمخطوطات القرآنية المبكّرة؛ وهي مسألة الإملاء الكامل والناقص للألف المتوسّطة. وكما رأينا في هذا البحث، فإنّ النوع النصِّي العثماني يحتفظ بترتيب الكلمات والآيات والسور بصورة بالِغة الدّقة، فضلًا عن الإبقاء على اختلافات الإملاء في الكلمات التي تمتاز بخواص رسم معيّنة والتي لا بد أنها كانت حاضرة في النموذج الأصلي العثماني. وانسجامًا مع هذا النقل شديد الاتساق لتلك الخواصّ، نجد مفاجأة أخرى تتمثّل في مسألة الإملاء الكامل أو الناقص لحرف الألِف، والتي تتوزّع بين احتمالين في جميع المخطوطات القرآنية في مواطن محدّدة.

وقد جذب هذا الأمر نظر فرانسوا ديروش[1] (٢٠٠٩؛ ٢٠١٤، ص٢٥ وما بعدها) الذي درس الاختلاف في رسم عددٍ من المفردات في مخطوطة

(١) وُلِدَ فرانسوا ديروش François Déroche في متز Metz يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٥٢م، وهو مستشرق فرنسي متخصّص في دراسة المخطوطات القديمة codicologie، والباليوغرافيا أيْ: علم قراءة النصوص القديمة paléographie.

بدأ ديروش مشواره في المدرسة العليا للأساتذة سنة ١٩٧٣م، وحَصَلَ على شهادة التبريز في الآداب القديمة سنة ١٩٧٦م؛ مما خوَّل له الحصول على دبلوم الدراسات المعمّقة في علم المصريات égyptologie سنة ١٩٧٨م.

=

باريسينو بيتروبوليتانس وبعض المخطوطات القرآنية المبكّرة وتوصّل إلى أنّ المعالجة المتفاوتة بتفاوت النسّاخ توحِي بأنّ نسّاخ مخطوطة باريسينو بيتروبوليتانس كانوا حريصين على استخدام الإملاء الكامل مقارنة بالنموذج الأصلي الذي ينقلون منه. ولا يتّضح لدينا ما إذا كان الأصل الذي نُسخت منه

=

تقاعد عن عمله في المكتبة الوطنية الفرنسية، حيث كان يَشتغل على دراسة النصوص القرآنية بقسم المخطوطات.

وقد تُوِّجَت جهوده في تصنيف المخطوط القرآني ودراسته في رحاب المكتبة الوطنية بباريس بمبادرة كوليج دي فرانس Collège de France، الذي أحدث لأول مرة كرسيًّا لدراسة القرآن سُمّي كرسي تاريخ القرآن: النصّ والنقل، *La chaire Histoire du Coran. Texte et transmission*، وعَهد به إلى فرانسوا ديروش سنة ٢٠١٥م، وذلك إقرارًا منه بمركزية الموضوع في الدَّرْس الاستشراقي والتاريخي المعاصر، واعترافًا بمكانة ديروش في هذا الحقل المهم.

**نذكر من بين أهم أعماله:**

١٩٨٣م: دليل المخطوطات العربية:

Catalogue des manuscrits arabes, fascicules 1 et 2, Bibliothèque nationale (France), département des manuscrits, Bibliothèque nationale.

٢٠٠٤م: الكتاب العربي المخطوط، مقدّمات تاريخية:

Le Livre manuscrit arabe : Préludes à une histoire, Bibliothèque nationale de France, impr.

٢٠٠٤– ٢٠٠٩م: القرآن، ضمن سلسلة: ماذا أعرف؟

Le Coran, Que sais-je ?, PUF.

٢٠٠٩م: النقل الكتابي للقرآن في بدايات الإسلام (المخطوط الباريزينو بتروبوليتانوس):

La transmission écrite du Coran dans les débuts de l'islam. Le codex Parisino-petropolitanus, Brill.

(قسم الترجمات).

مخطوطة باريسينو بيتروبوليتانس قد استخدم الإملاء الكامل في بعض المواضع بصورة غير منتظمة، وبالتالي نقل النُّسّاخ هذا الأمر بشكلٍ صحيح أم أنّ النسّاخ تعمّدوا تطوير الرّسم كما يقترح ديروش. وتجدر الإشارة إلى أنّ الإملاء الكامل قد استُخْدِم بدرجةٍ ما في النموذج الأصلي العثماني.

على سبيل المثال، هناك اتفاق عام على أنّ جميع الجذور التي تأتي على شكل حرف صامت يليه الألف ثم حرف صامت (CāC)[1] تُرسم بإملاء كامل[2]. ولا يظهر هذا الاتساق في رسم الألِف المتوسّطة في أيّ جذر آخر. وقد شرح فيرنر ديم هذا الأمر بشكلٍ مقنع (١٩٧٦، ص٢٥٨ وما بعدها؛ وانظر ١٩٧٩، ص٢٥١ وما بعدها). ويبيّن فيرنر أنّ الخط الآرامي النبطي[3]، الذي سبق الخط العربي، لا يَكتب الألف المتوسطة بأيّ حال. ولذا فإنّ كتابة الألف بالإملاء الكامل هو أمر ابتكره الرّسم الحجازي (القرآني)، ويرى أنّ هذا حدث نتيجة تعويض الهمزة في الألف المتوسطة بالمد. ونتيجة لذلك فإنّ الْأسماء التي تُكتب في الأصل بحرف صامت متبوعًا بالهمزة ثم حرف صامت تُرسم

(١) استخدمنا الحرف C للإشارة إلى أيّ حرف صامت وإذا وضعتُ عليها شرطة قصيرة فتشير إلى حرف صامت ممدود.

(٢) هناك استثناء معروف بالطبع هو الفعل (قالَ) الذي يُرسم عادة بإملاء ناقص (ديروش، ٢٠١٤، ص٤٧).

(٣) وهذا يسري على أيّ نوع من أنواع الخطّ الآرامي.

بالألف بدلًا من الهمزة وينتهي بها الحال إلى رسم شبيه بالحروف التي دأب الناس على كتابتها بالْأَلِف على مَرِّ التاريخ. ولذا وجدنا بعض الأسماء التي تتكون من حرف صامت متبوعًا بالألف ثم حرف صامت آخر (CāC)، رُسِم بعضها بأَلِف مهموزة وبعضها الآخر بدونها. ثم عُمِّم الرسم بالْأَلِف في جميع هذه الأسماء بقطع النظر عن وجود الهمزة في الأصل أم لا. ويتَّضِح ذلك في الجدول الآتي:

| المرحلة الأولى | المرحلة الثانية | المرحلة الثالثة (تعميم الرسم بالألِف) |
|---|---|---|
| رأس بإثبات الهمزة<br>*ra ʾ s | راس بإسقاط الهمزة<br>*rās* | راس بالألف<br>*rās* |
| **nār* ><br>نر | *nār* ><br>نر | *nār*<br>نار |

في المرحلة الثالثة كُتبت (نار) بالألِف وهو ما يخالف تاريخ رسم الكلمة في الأساس. ولأنه لم تكن هناك وسيلة لتمييز الكلمات التي رُسمت بالهمزة تتوسط بين حرفين صامتين عن الكلمات التي رُسمت بألِف متوسطة بين صامتين، فجرت العادة أن يتم رسم كلّ الكلمات التي تأتي بهذا التركيب بإثبات الألِف.

وبعد هذا التعميم (باستثناء الفعل قَالَ) شاعتْ هذه الطريقة في كتابة الأَلِف المتوسطة وعُمِّمَتْ لتضمّ أشكالًا لم تشتمل في الأساس على الهمزة في هذا الموضع مثل الأسماء التي تتركّب من حرف صامت مفتوح ثم صامت يليه حرف الأَلِف متبوعًا بصامت آخر (CaCāC) أو من حرف صامت مفتوح ثم حرف صامت ممدود ثم أَلِف ثم حرف صامت (CaC̄ āC) أو صامت ثم أَلِف ثم صامت مكسور ثم صامت (CāCiC). وطريقة الرسم التي نجدها في الْمَخطوطات القرآنية الأولى وفي الطبعة القاهرية تعود على ما يبدو لفترة انتقالية أصبحت هذه الكلمات بعدها تُرْسَم بالإملاء الكامل بإثبات الألف المتوسّطة في حين كان المتعارَف عليه أن يكون النّاسِخ بالخيار في أن يُثبت الألف أو يُسقطها. وعندما نقارن طُرُق رسم هذه الكلمات في المخطوطات القرآنية الأولى، مثل كلمة (عباد) التي درسها فرانسوا ديروش في المخطوطة الباريسية باريسينو بيتروبوليتانس، نجد أنه حتى المخطوطات التي تنتمي إلى النوع الشامي (مثل هذه المخطوطة الباريسية، أو مخطوطة Or. 2165 أو We II 1913) هناك تفاوت جَلِيّ عبر المخطوطات وليس هناك ما يربط بين المواضع التي تَرِد فيها الْكَلِمَة على الإطلاق.

يُبَيّن الجدول (٣) جميع مواضع ورود كلمة (عباد) في المخطوطات الثلاث[١]. وكما يتّضح هنا فلا نجد اتفاقًا أو نمطًا متَّبَعًا؛ مما يدلّ على أن إثبات الألِف أو إسقاطها ليس شأنًا خاصًّا بالْمخطوطات الشامية. ويبقى هذا الاتجاه واضحًا حتى عند الحديث عن مصاحف الكوفة والبصرة والمدينة.

**الجدول (٣) رسم كلمة (عباد):**

| الموضع | المخطوطة CP | المخطوطة BL | المخطوطة W |
|---|---|---|---|
| الأعراف ١٢٨ | عبده | عبده | عباده |
| الاعراف ١٩٤ | عبد | عبد | عباد |
| ونس ١٠٧ | عبده | عبده | عباده |
| إبراهيم ١١ | عبده | عبده | عباده |
| إبراهيم ٣١ | لعبدي | لعبدي | لعبادي |
| الحجر ٤٠ | عبادك | عبادك | عبادك |
| الحجر ٤٢ | عبادي | عبدي | عبادي |

(١) الكلمة الأخرى التي درسها ديروش هي كلمة (عذاب)، ويمكن تناولها بالدراسة كذلك، لكن يصعب الحكم على الأمثلة؛ لأنّ الألِف في كلمة (عذاب) غير متصلة بما قبلها ولا ما بعدها. ولذا من المحتمل أن يأتي ناسخ متأخّر فيضيف الألِف للكلمة. وهو ما حدث بوضوح في المخطوطة We II 1913، لكن يظل هناك احتمال كبير في وقوع لَبْس. ولذا وقع الاختيار على كلمة (عباد) إِذْ لا يمكن الخلط بين (عبد، وعباد) حتى لو جاء ناسخ متأخِّر وزاد الألِف.

| الموضع | المخطوطة CP | المخطوطة BL | المخطوطة W |
|---|---|---|---|
| الحجر ٤٩ | عبدي | عبدي | عبادي |
| المؤمنون ١٠٩ | عبدي | عبدي | عبادي |
| النور ٣٢ | عبد | عبد | عباد |
| الفرقان ١٧ | عبدي | عبدي | عبادي |
| الفرقان ٥٨ | عبده | عباده | عباده |
| الفرقان ٦٣ | عبد | عبد | عباد |
| الشعراء ٥٢ | يعبدي | يعبدي | يعبادي |
| النمل ١٥ | عبده | عبده | عباده |
| النمل ١٩ | عبدك | عبدك | عبادك |
| النمل ٥٩ | عبده | عبده | عباده |
| فاطر ٢٨ | عباده | عباده | عباده |
| فاطر ٣١ | بعبده | بعباده | بعباده |
| فاطر ٣٢ | عبدنا | عبدنا | عبادنا |
| ص٣٨ | عبادك | عبدك | عبدك |
| الزمر ٧ | لعبده | لعبده | لعباده |
| الزمر ١٠ | بعبد | بعبد | بعباد |
| الشورى ١٩ | بعبده | بعبده | بعباده |
| الشورى ٢٣ | عباده | عباده | عباده |

| الموضع | المخطوطة CP | المخطوطة BL | المخطوطة W |
|---|---|---|---|
| الشورى ٢٥ | عباده | عباده | عباده |
| الشورى ٢٧ | لعبده | لعباده | لعباده |
| الزخرف ١٥ | عباده | عباده | عباده |
| الزخرف ١٩ | عبد | عبد | عبد |
| الزخرف ٦٨ | يعبدي | يعبدي | يعبدي |

يتّضح من ذلك أنه رغم وجود العديد من نماذج المفردات التي امتازت بخواص رسم معيّنة احتفظت بها على مدار مئات من السنوات، إلا أنّ التقليد المتّبَع في عملية النَّسْخ الذي نتجت عنه هذه المصاحف لم يُبالِ كثيرًا على ما يبدو بطريقة رسم الكلمة المشتملة على حرف الألِف، من حيث إثبات الألِف أو إسقاطها[١].

وحتى لو فرضنا صحة ما ذهب إليه ديروش من أنّ النسّاخ عمدوا إلى تطوير الرّسم في النموذج الأصلي الذين نسخوا منه، فلا يمكن القول بأنه متى

(١) تجدر الإشارة إلى أن ما يُسمّى «مشروع المصاحف الثاني» الذي تولّاه الحَجّاج كما تذكر بعض الأخبار يشير على ما يبدو إلى زيادة الألِف (حمدان، ٢٠١٠، ص٧٩٦ وما بعدها). ومن الممكن الطعن في هذه الأخبار، ومع ذلك من المدهش أنه في حالة الألِف تحديدًا لا نلاحظ التزامًا واضحًا بنَسْخ المفردات ذات الخواص الإملائية من أصل مكتوب. وربما في هذا دليل آخر على حدوث النَّسْخ من أصل مكتوب فعلًا.

وجد اختلاف بين المخطوطات المبكّرة فإنّ رسم الكلمة بإسقاط الألِف هو الأقدم. فهناك على ما يبدو نوع من اللامبالاة العامة بالألِف المتوسّطة خاصّة حين لا تكون ممدودة، فعلى سبيل المثال كلمات مثل: ﴿مايه﴾ (للعدد مئة)، و﴿شاي﴾ (شيء)، تُكتب غالبًا ﴿ميه﴾ و﴿شي﴾. وهنا لا يمكن الحديث عن وجود التزام دقيق بخواص الرَّسْم هذه في كلّ المخطوطات القرآنية المبكِّرة. ويوضح الجدول (٤) طريقة رسم كلمة (مايه، ومايتين) في المخطوطات القرآنية المبكّرة التي تناولتها الدراسة هنا. ويتّضح عدم وجود نظام معيّن التزمه النُّسَّاخ في رسم هاتين الكلمتين في المخطوطات القرآنية المختلفة.

بعبارة أخرى الألِف المتوسّطة التي لا تدلّ على وجود حرف ألِف ممدود لا ضابط لها في التقليد الذي سار عليه النُّسّاخ في كتابة المخطوطات القرآنية المبكّرة. ومع ذلك هناك اتفاق بين الباحثين على أن رسم الكلمة بالألِف في كلمتي ﴿ماية﴾ و﴿شي﴾ هو رسم قديم، في حين أنّ الرسم الجديد يسقط الألِف (انظر مثلًا ديم، ١٩٨٠، ص١٠٣ وما بعدها). لذا فإنّ زيادة الألِف المتوسطة أو حذفها اعتمد على ما يبدو على اختيار النَّاسِخ. ولذا لا يفيدنا كثيرًا عند دراسة الرسم القرآني أن نفكّر من منطلق الرسم القديم والحديث للألِف؛ فمن الواضح أنه في زمن المخطوطات القرآنية المبكّرة التي وصلتْنَا، كانت طريقتا الرسم القديمة والحديثة موجودتين. وليس هناك ما يدعو للقول بأنّ الوضع كان مختلفًا عند كتابة الأصل العثماني قبل ذلك بعدّة عقود. كذلك لا مبرّر للقول

بأنه عند قيام الدليل على استخدام هذا الرسم أو ذاك، أن يكون الأصل العثماني بالضرورة مشتملًا على الرّسم القديم. وإلى أن يظهر دليل جديد أو نصل إلى فهمٍ أفضل لهذا التردّد في رسم الأَلِف المتوسطة، فمن المبكّر الحديث عن وقوع تطوّر في الرسم وانتقال من الإملاء الناقص إلى الكامل.

وإذا كانت مسألة الإملاء الناقص والكامل تمثّل إشكالية في عملية إعادة بناء الرسم للأصل العثماني، إلا أنه ينبغي التأكيد على أنها تؤثّر فقط في عدد قليل من الكلمات المشتملة على أَلِف متوسّطة؛ في حين أنّ غالبية الكلمات التي بها الأَلِف المتوسّطة تُرسم على نحو متوقّع في جميع المخطوطات القرآنية المبكّرة وكذلك في الطبعة القاهرية. وقد بيّن فيرنر ديم بعض مبادئ الرسم هذه (١٩٧٩، ص٢٥٥ وما بعدها) وسوف أوجز القول في هذه المبادئ، وقد زدتُ في بعض المواضع على ما قرّره فيرنر ديم من تعميم. ونظرًا لأن ديم اعتمد في كلامه على الطبعة القاهرية دون غيرها، فإنّ الدليل المخطوط يختلف في بعض المواضع مع ما ذهب إليه.

١. الكلمات المركّبة من حرف صامت يليه أَلِف ثم صامت آخر (CāC)، أو حرف صامت يليه أَلِف ثم حرف صامت ممدود (CāC̄) رُسمت بإملاء كامل (عدا كلمة قَالَ).

٢. في اسم الفاعل من صيغة جمع المذكر السالم والمؤنث السالم والمثنّى، تُرسم الكلمات بإملاء ناقص وذلك في فعلون، وفعلين، وفعلت وفعلان، وفعلن، وفعلين[١].

٣. يُرسم جمع المؤنث المنتهي بالألِف والتاء بإملاء ناقص، لكن لو اقتضى ذلك أن تتركّب الكلمة من ثلاثة أحرف فقط فتُرسم بإملاء كامل، فنجد مثلًا (مسلمت) بإسقاط الألِف، في حين أُثبتت الألف في (سيات، جنات[٢]، بنات).

٤. الاسم المنتهي بالألِف والنون يُرْسَم بإملاء ناقص، فتسقط الألِف مثل كلمة (رحمن).

**الجدول (٤) رسم كلمة (مائة):**

| | C | BL | CP | A3 | CA1 | T | SU | SM | S | W | K | Zid |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| Q 2:259 | | | | | | | | | | | | |
| Q 2:259 | | | | | | | | | | | | |
| Q 2:261 | | | | | | | | | | | | |
| Q 8:65 | | | | | | | | | | | | |
| Q 8:65 | | | | | | | | | | | | |
| Q 8:66 | | | | | | | | | | | | |
| Q 8:66 | | | | | | | | | | | | |
| Q 18:25 | | | | | | | | | | | | |
| Q 24:2 | | | | | | | | | | | | |
| Q 37:147 | | | | | | | | | | | | |

(١) يشمل هذا اسم الفاعل المشتمل على حرف علة متوسط، وهو نوع من اسم الفاعل الذي يُرسم في الطبعة القاهرية بإملاء كامل في صيغتي المفرد والجمع. وهذا النمط غير موجود في المخطوطات القرآنية المبكّرة، ولا بد أنه عُدّ من قبيل تطور الرسم في الطبعة القاهرية.

(٢) تُرسم في العادة بإملاء ناقص في الطبعة القاهرية (عدا الآية الثانية والعشرين من سورة الشورى)، ولكن يبدو هذا رسمًا خاصًّا بطبعة القاهرة.

**الجدول (٥) رسم كلمة (يابسات):**

| الموضع Zid K W SM SU L BL C[1] |
| --- |
| يوسف: ٤٣ ا ا ا ا ا ا ا |
| يوسف: ٤٦ ا ا ا ا ا ا ا ا |

٥. أداة النداء (يا) تُرسم دائمًا بإملاء ناقص.

٦. اسم الإشارة (ها) تُرسم بإملاء ناقص.

٧. ضمير المتكلِّم المتصل في صيغة الجمع المؤنث المنتهية بالحرفين (نا) يُرسم دومًا بإملاء ناقص.

٨. الكلمات التي تُرسم دومًا بإملاء ناقص في العربية الفصحى تُرسم بنفس الطريقة في القرآن، ومن ذلك كلمة (لكن، اوليك، ذلك).

٩. تُرسم العديد من الكلمات بإملاء ناقص دومًا بإسقاط الألِف مثل (سلم وصرط والمليكه وثلث)، كذلك في أسماء الأعلام مثل (اسحق واسمعيل واسريل)[2].

---

(١) مخطوطة مكتبة جامعة لايدن، Or. 6814، التأريخ بالكربون ١٤: ٦٨٠– ٧٩٨، سيجما ٢ (٩٥.٤٪) بالخط الكوفي.

(٢) الفئة الأخيرة من الكلمات المرسومة بإملاء ناقص لا تمثّل أيّ فئة منهجية. ومع ذلك فإنّ هذا التعميم له وجاهته. وقد تساعدنا الدراسة المنهجية، وتحديد الظروف والملابسات، في فهم المبادئ المنطقية التي يمكن إعادة بنائها للأصل العثماني.

وحين تكون هناك استثناءات من القواعد المقرّرة أعلاه، فعندها تشكّل على ما يبدو خواص رسم متّسقة يمكن إعادة بنائها للأصل العثماني رغم اشتمالها على ألِف متوسطة. ومن أمثلة ذلك ﴿يابسات﴾ في سورة يوسف في الآيتين الثالثة والأربعين والسادسة والأربعين. وإذا نظرنا إلى رسم هذه الكلمة في المخطوطات القرآنية القديمة وجدنا نفس الرسم تمامًا. وتنبئ قاعدة الرَّسْم العامة عن اتباع طريقة الإملاء الناقص، لكن لا نجد هذا في أيّ مخطوطة قرآنية مبكّرة مع هذه الكلمة تحديدًا كما يتضح من الجدول (٥). ولذا يمكن القول بأنّ رسم هذه الكلمة في الأصل العثماني هو (يابست)؛ إِذْ ليس هناك تفسير آخر لهذه الطريقة الخاصّة في رسم الكلمة.

كذلك يمكن القول بأن رسم هذه الكلمة بالإملاء الكامل كان حاضرًا في الأصل العثماني، ولا يمكن أن نفترض ببساطة رسمها بإملاء ناقص في كلّ الأحوال. من هنا يتضح السبب في بيان المنهج الأنسب في دراسة هذه الطرق في الإملاء وأنه يُفترض ألا تكون الدراسة قاصرة على مخطوطة بعينها، وإنما اللجوء إلى دراسة منهجية مقارنة. وما إن نستخلص المبادئ العامة للرّسم والإملاء، حتى يمكن عندها الخروج باستنتاجات منطقية لتمييز الألِف التي أضيفت في وقت متأخّر عن غيرها والسبب في ذلك.

## الخاتمة:

أظهر هذا البحث أنّ خواص الرسم والإملاء لبعض الكلمات لا ترجع بالضرورة إلى هوى النّاسخ، بل ظهرتْ بالرسم ذاته في جميع المخطوطات القرآنية المبكّرة. ولا سبيل لتفسير هذا الأمر إلا إذا افترضنا أنّ جميع هذه النُّسَخ التي تنتمي إلى النوع النصِّي العثماني منبثقة من أصل واحد مكتوب رُوعي التقيّد بطريقته في الرّسم تباعًا من نسخة لأخرى، مما يثبت أنّ هذه النُّسَخ جميعًا مستندة إلى نموذج أصلي مكتوب.

كما أنّ المخطوطات التي تناولتْها الدراسة تعود لتاريخ مبكّر يجعل تقنين النّوع النصِّي العثماني متّسقًا تمامًا مع نسبته إلى عثمان بن عفان. وعلاوة على ذلك فقد ناقش هذا البحث إشكالية التنقل بين الرسم بالإملاء الكامل والناقص. وليس هناك نمط دقيق على ما يبدو في رسم الألِف المتوسّطة. ومع ذلك يتّضح من الأنماط المتبعة والمبادئ التي يمكن تعميمها أن الأصل العثماني لم يُكتب بإملاء ناقص في كلّ الأحوال. فهناك كلمات رُسمت بالإملاء الكامل وأُثبتت فيها الْأَلِف في حين أُسقطت من كلمات أخرى رُسمت بالإملاء الناقص حتى في الأصل العثماني. وعند إمعان النظر في هذه الأشكال المستخدمة في المخطوطات القرآنية المختلفة ربما نخرج بصورة أوضح عن هذه الأشكال وتطوّر الإملاء الكامل لحرف الألِف في المخطوطات القرآنية المبكّرة.

## ثبت المراجع:

### أولًا: المراجع العربية:

- ابن مجاهد، د. ت، كتاب السبعة في القراءات، القاهرة: دار المعارف.

- رزان غسان حمدون، المخطوطات القرآنية في صنعاء منذ القرن الأول الهجري وحفظ القرآن الكريم بالسطور، أطروحة ماجستير غير منشورة، الجامعة اليمنية، صنعاء.

### ثانيًا: المراجع الأجنبية:

Burton, John. 1977. The Collection of the Qurʾān. Cambridge: Cambridge University Press.

Cellard, Éléonore. 2017. Codex Amrensis 1. Leiden and Boston: Brill.

Cook, Michael. 2004. “The stemma of the regional codices of the Koran”, inG.K. Lividas (ed.), Graeco-Arabica 9–10: Festschrift in Honour of V. Christides. Athens: Institute for Graeco-Oriental and African Studies, 89–104.

Corpus Coranicum = Manuscripta Coranica. Berlin: Berlin-Brandenburg Academy of Sciences and Humanities. Database accessible online at www.corpuscoranicum.de.

Déroche, François. 1983. Les manuscrits du coran: Aux origines de la calligraphie coranique. Paris: Bibliothèque nationale.

Déroche, François. 1992. The Abbasid Tradition: Qurʾans of the 8th to the 10th centuries AD. Oxford: Oxford University Press.

Déroche, François. 2009. La transmission écrite du Coran dans les débuts de l’islam: Le codex Parisino-petropolitanus. Leiden and Boston: Brill.

Déroche, François. 2014. Qurʾans of the Umayyads: A First Overview. Leiden and Boston: Brill.

Diem, Werner. 1976. “Some glimpses at the rise and early development of the Arabic orthography”, Orientalia 45, 251–61.

Diem, Werner. 1979. “Untersuchungen zur frühen Geschichte der arabischen Orthographie. I: Die Schreibung der Vokale”, Orientalia 48, 207–57.

Diem, Werner. 1980. “Untersuchungen zur frühen Geschichte der arabische Orthographie II: Die Schreibung der Konsonanten”, Orientalia 49, 67–106.

Donner, Fred M. 2008. “The Qurʾān in recent scholarship: challenges and desiderata”, in G.S. Reynolds (ed.), The Qurʾān in Its Historical Context. London and New York: Routledge.

Dutton, Yasin. 2001. “An early Muṣḥaf according to the reading of Ibn ʿĀmir”, Journal of Quranic Studies 3/1, 71–89.

Dutton, Yasin. 2004. “Some notes on the British Library’s ‘oldest Qurʾan manuscript’ (Or. 2165)”, Journal of Quranic Studies 6/1, 43–71.

Hamdan, Omar. 2010. “The second Maṣāḥif project: a step towards the canonization of the Qurʾanic text”, in A. Neuwirth, N. Sinai and M. Marx (eds), The Qurʾān in Context: Historical and Literary Investigations into the Qurʾānic Milieu. Leiden and Boston: Brill, 795–835.

Hilali, Asma. 2017. The Sanaa Palimpsest: The Transmission of the Qurʾan in the First Centuries AH. Oxford: Oxford University Press.

Motzki, Harald. 2001. “The collection of the Qurʾān: a reconsideration of Western views in light of recent methodological developments”, Der Islam 78, 1–34.

Nasser, Shady Hekmat. 2013. The Transmission of the Variant Readings of the Qurʾān: The Problem of Tawātur and the Emergence of Shawādhdh. Leiden and Boston: Brill.

Neuwirth, Angelika. 2003. “Qur’an and history – a disputed relationship. Some reflections on Qurʾanic history and history in the Qur’an”, Journal of Qur’anic Studies 5/1, 1–18.

Putten, Marijn van. Forthcoming. “Hishām’s ʾIbrāhām. Evidence for a canonical Quranic reading based on the rasm”, Journal of the Royal Asiatic Society.

Sadeghi, Behnam and Uwe Bergmann. 2010. “The codex of a Companion of the Prophet and the Qurʾān of the Prophet”, Arabica 57, 343–436.

Sadeghi, Behnam and Mohsen Goudarzi. 2012. “Ṣanʿāʾ 1 and the origins of the Qurʾān”, Der Islam 87, 1–129.

Sinai, Nicolai. 2014a. “When did the consonantal skeleton of the Quran reach closure? Part I”, BSOAS 77/2, 273–92.

Sinai, Nicolai. 2014b. “When did the consonantal skeleton of the Quran reach closure? Part II”, BSOAS 77/3. 509–21.

Wansbrough, John. 1977. Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation. Amherst, NY: Prometheus Books.